

إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري في كتابات الآخر 1883.1832م

The humanity of Emir Abdelkader Aljazairi in the writings of the other .

مصطفى خروس^{1*}، سمية لوافي²،¹ جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس (الجزائر)، kharous.mustafa@yahoo.com² جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس (الجزائر)، louafisoumia22@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/18

تاريخ القبول: 2024/02/29

تاريخ الاستلام: 2022/04/16

ملخص:

يعد الأمير عبد القادر الجزائري ابن مي الدين شخصية جزائرية مؤثرة تخطت الزمان والمكان، في فترة استطاع أن يعيد هيكلة جغرافيا الوطن ويبعث من جديد مشروع الدولة الجزائرية، بعبقريته منذ 1832، متحديا قوى متعددة.

تهدف هذه الدراسة التاريخية إلى تسليط الضوء على شخصية الأمير ومكانتها عند الآخر هذا الرجل الذي كان الجهاد عنده وسليلا وليست غاية لتحرير الأمة من الإستعمار، مستلهما دروس الحرب من معين الإسلام، بتلك القيم والمبادئ الإنسانية التي غلبت سلوكه وتفكيره،

أثار إعجاب أعدائه وخصومه من الفرنسيين و الجزائريين وقد تُرجم هذا الإعجاب في العديد من المراسلات والكتابات والمؤلفات، وقد أعدنا دراستنا وفق منهج تاريخي يعتمد العديد من المراسلات والكتابات والمؤلفات، وقد أعدنا دراستنا وفق منهج تاريخي يعتمد المصادر التاريخية بالدرجة.

كلمات مفتاحية: الأمير عبد القادر الجزائري، الإنسانية، الكتابات، الآخر،

* المؤلف المرسل: مصطفى خروس

Abstract:

Emir Abdelkader Aljazairi is an influential Algerian figure has been able to rebuild the geography of Algeria and revive the Algerian state project, with his genius since 1832.

T his historical study aims to identify the prince's personality and its position in writing others, and its impact on his enemies, and this effect has been translated into the reactions of those who fought in a collection of correspondence, writings and literature through a historical approach that relies primarily on historical sources.

Keywords: Humanity; Emir Abdelkader Aljazairi; Other; writings

1. مقدمة:

فرض الأمير عبدالقادر الجزائري نفسه ببطولته الإستثنائية وبشخصيته المتفردة على الآخرين منذ انطلاق شرارة مقاومته عام 1832م وعبر كل المحطات التي مرّ بها من الجزائر مرورا بفرنسا وصولا إلى مقرّ إقامته بسوريا سواء كان هذا الآخر عدوا أو خصما هذا الاسم اللامع بشهرته التي بلغت الأفاق وجد اعترافا وتقديرا لدى الآخر سواء كان عن تلقائية أو على مضض، حتى وان لم يحرك مشاعر وضمائر الفرنسيين وهو يحارب فإنّه حرّك الأقلام وجلب أنظار العالم وهو يدافع عن الإنسانية إلى غاية اللحظة الأخيرة من وفاته عام 1883م.

كان يمثل مركز التغيير ومحور المشروع الإنبعاثي النهضوي في ضمير الأمة الجزائرية جاذبا بقوة مغناطيسيته الأطراف المحيطة به تارة تتجاذب فيه بعض القوى وتارة تتنافر فيه. إلا أنّ ذوبان هذه القوى الدينية والسياسية في كيان مركزي واحد كان له ردود افعال وصدى بين الرفض والقبول فهو أمير و ناصر للدين، ومجاهد وسلطان العرب لدى مناصريه وعدو ومنافق ولتوضيح ذلك إرتأينا تسليط الضوء على بعض الكتابات المحلية والعربية والأجنبية التي تناولت الأمير الإنسان كل منها لها خلفيتها و منطلقها في

تناول شخصيته ، فكيف نجد صورة الأمير عبدالقادر في كتابات الآخر سواء كانت محلية أو أجنبية ؟

2.ذاته الأميرية ونظرته للآخر:

أثر فكر الأمير عبدالقادر (شباب، مارس 2018، صفحة 33.32) المتشبع بمبادئ وقيم الاسلام السّميحة في كتاباته ومواقفه ومراسلاته مع أعدائه الفرنسيين وخصومه من القبائل المحليّة والطّرقين والمنافسين له في الرّعاية مما بلور الذات الأميرية السّامية بنظرته ومواقفه المتفتحة بأفكارها النبيلة بشعورها وإحساسها المعتدلة في سلوكها ومعاملتها في خضمّ التحدّيات الهوجاء والواقع المأساوي الملبّد بالمؤامرات والاعتداءات والخيانات والتمرّدات والذي صنعه العدو الأجنبي بوحشته وبخبثه المعهود، والخصم المحليّ المنافس له في الرّعاية وجار مغربي جار في حكمه وانقلب على إخوته الجزائريين في أحلك أيّامهم في فترة عصيبة كان جهاد الأمير فيه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كانت الأنا الجزائرية الممثلة في شخص الأمير ذات عاطفة إنسانية قوية، تعطف على العدو وعلى الشقيق الخصم ، فلم تبطش هذه الأنا بالغير و لم تنهب الأملاك والارزاق إلّا بما أحلّ وأباح الدّين أو الشرع ولم تنتهك الأعراض والحرّمات. بل نهجت لنفسها صراط الحقّ والصواب في فكرها و ممارساتها. تتشكل صورة الآخر في مفهومنا المعاصر وفق معايير التفوّق والعلو للثقافة والفكر الغربي فالآخر (الجابري)، منتج و منظمّ، متحضر، ديمقراطي، حقوقي (وزارة المجاهدين ، 2007) وبهذه الأوصاف تُمثّل الغيرية المحور و المركز و القطب الذي تدور فيه فلكه الأنا/المغلوب و المقهور و المتخلف.

وعادة ما ينظر الأنا إلى نفسه على أنه الأكمل والأصوب والأفضل، و الآخر هو الناقص و الخاطئ و الأسوأ هذه النظرية العدائية أو الضدية بين الأنا والآخر هي مصدر تعدد الأنا و

الآخر في مجالات السّياسة و الفكر و الفلسفة و الأدب إلى غير ذلك من مجالات الحياة والمعرفة (عودة، دت).

3. الكتابات المحلية المعاصرة للأمير عبد القادر الجزائري:

لم تشفع للأمير شرعيته التي إستمدّها من روح عقد المبايعة عند خصومه المحليين الذين هم أحد الفاعلين الرئيسيين في ميزان القوة السّائد داخل الجزائر بعد زوال السّلطة التركية، فكانت الجزائر أمام تحدّي كبير طرح إشكالية الشرعية التي تملأ الفراغ السياسي الموجود.

يبدو أنّ الجزائر بعد 1830م كانت رهينة صراع قوى فكلّ منها إمّا تمثّل الحاضر أو الماضي أو المستقبل ويعتبر أحمد باي أحد الذين يمثلون بقايا النظام البائد والذي كان مشدودا بعقليته التركية للماضي التليد، ورغم مصاهرتة لأحدى العائلات الجزائرية التي لها وزن كبير في الشرق الجزائري إلّا أنه لم حاول الاستفادة منها بدكاء و حكمة، بل طمح إلى إطالة عمر الحكم التركي في الجزائر.

فنظرة احمد باي الكرغلي تتطابق مع نظرة الأتراك الذين همّشوا وأقصوا الجزائريين. خاصّة سكان الرّيف من المساهمة في إدارة دفّة الحكم، وكانت كلها تعالي ومقت واستخفاف وانتقاص حتى لشخص الأمير عبد القادر). (Tamini, 1978). ولو أنّ العلاقة بين الطّرفين أحمد باي والأمير يبررها ناصر الدين سعيدوني بالاعتبارات والظروف النفسية والسّياسية التي أدّت إلى توتر العلاقات بينهما (سعيدوني، 2000، صفحة 12) وهذا ما نجده مقبولا في كلام المؤرخ الجزائري، عكس مؤرخين آخرين من راح يتحامل على أحد الشخصيتين .

وصف أحمد باي الأمير في مراسلاته وكتاباتة بالعربي، والمنافق و مدّعي الشرف "هناك منافق يعرف بعبد القادر بن محي الدين يدّعي الشرف ظهر في الغرب"، (Tamini a. , 1978, p. 1) ويؤيد على ذلك ويدّعي عليه في مذكراته قائلا "كان الحاج عبد القادر قد كتب إلى العرب يخبرهم بأنّه أبرم الصلح مع الفرنسيين الذين إعترفوا بسيادته على كامل أنحاء

البلاد وعليه يطلب منهم التخلّص من سلطاني ويدخلوا في طاعته" (حميدة، 1973، صفحة 51)، وما نستنتجه من كل ما قاله حول الأمير هو الرفض والخصومة والعداء لنُدّه العربي الجديد الذي ينازعه الحكم حسب تخيلاته .

هناك من معاصري الأمير عبد القادر الذين رفضوا بيعته من علماء غريس خاصّة وتحدّث عنهم صاحب كتاب "طلع سعد السعود" قال بعض علماء وأولياء الله بغريس سبحانه الله هذه البيعة لا يستقيم لصاحبها حال ولا يهنأ له قرار ومنال ولا شفقة ولا رحمة في الأعيان ... وإنما هو سقّاك للدماء وليس من السّادات والرحماء" (المزاري، 1990، صفحة 106).

أمّا نظرة المشرفي (شرف، 2018، صفحة 18) فتراوحت بين التأييد والمعارضة وهذا راجع لظروف وامتحانات صعبة مرّ بها في حياته منذ إحتلال الفرنسيين للجزائر. ففي البداية عارضه ولامه بشدّة في كتابه "طرس الأخبار في ما جرى للمسلمين مع الكفار في أواخر القرن الثالث عشر مع الكفار و في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار" (مخبر البحوث الإجتماعية والإنسانية، 2014، صفحة 169)، وفيه يطعن في بيعته وإمارته وسياساته تجاه القبائل و يصفه بالجور و الظلم والعتو وبداية منذ 1873 نجده يلين في أحكامه وآرائه تجاه الأمير و مقاومته ضد الفرنسيين بل أكثر من ذلك يمدحه ويثني عليه بكلامه قائلاً:

"... فجلس للإمارة وأعطاهما حقها، فتح الأصداف وجمع الاصناف، وركب الأكتاف ومنح الأعراف، ونجع الأكتاف ومرى الخلاف، فلم يدرك من تولى الإمارة شأوه ولا قاربه أو حاذى حذوه قام بالأمر واستبدّ به ، هجر اللذّات وأحوال الصبا والتفنن في الشهوات ، وجاهد وأحسن السّيرة وأمسك فكانت لديه أسيرة" (مخبر البحوث الإجتماعية والإنسانية، 2014، صفحة 69).

وهذا الموقف الجديد للمشرفي، و هو أحد علماء العصر ونخبته ربما يدلّ على أنّه كان مخطأً في حقّ الأمير بسبب أحوال ظرفية صعبة مرّ بها كانت من نتائج و انعكاسات مقاومته.

هناك كتابات أسطوغرافية أخرى عن الأمير لها ما يبرر مواقفها تجاه الأمير عبدالقادر والمتمثلة في ما كتبه الشيخ أحمد بن عبدالرحمان الشقراني (علوي، 2019م، صفحة 39) حيث كان هو الآخر ممن له مواقف مضطربة من الثورات والمقاومات الشعبية التي عرفت بها الجزائر. فهو يعتبر مقاومة بوعمامة عمل شخصي، ليس وراءها إلا الطمع والسيادة و الرئاسة، يصفه بالسّفه والجهل والأغرب أنّه يدعو إلى الاستسلام للواقع وانتظار قضاء الله وقدره (الشقراني، 2013، صفحة 26)، والفارق في الوصف عند الشقراني بين بوعمامة والأمير عبدالقادر أنّه يعتبر هذا الأخير شخصية عظيمة في معرض حديثه عن ثورة أبي حمارة فيقول: «فزحف له الداهية الكبرى والمصيبة العظوى العسكري، فريد دهره وبديع عصره...» (الشقراني، 2013، صفحة 26).

لكن ما يلفت في هذه المصادر والاحكام الصادرة منها أن فكرة القضاء والقدر والمشائية مسيطرة على عقول أصحابها إلى حدّ النخاع أي أن عقل بعض النخب المحافظة في ذلك الوقت كانت منقادة بفكرة الغيب ودورها في تسطير حياة الناس وننتقي مما كتبه الشقراني ما يلي: «ثم إن السّيد الحاج عبدالقادر لما أراد إدبار دولته وانقضاء دولته صار الفرنسيون يشنون الغارات على المسلمين ويصكونهم بخيلهم وأرجلهم المرّة بعد المرّة...» (علوي، 2019م، صفحة 39) مما يوحي لنا بأن نصفها بكتابات مشائية إن صحّ التعبير.

كان ابن مُحي الدين حاضرا في كتابات السلاوي الناصري الذي وصف الحاج عبدالقادر المجاهد لأعداء الدين " فلقد كان الحاج عبدالقادر هذا في أول أمره على ما ينبغي المثابرة على الجهاد والدرء في نحر العدو ولولا انه إنعكس حاله في آخر الأمر وخلصت الأرض للفرنسيين والله غالب على أمره" (الناصري، 1997، صفحة 44).

أمّا الأغا بن عودة المزاري فيصفه بذى التدبير الحسن والشجاع الذي حارب بالقلب والنية الصادقة (المزاري، 1990، صفحة 108).

. رغم وجود بعض التباين و الاختلاف في وصف الأمير عبد القادر في كتابات معارضيه فإنّها تندرج في الموقع الآخر الذي ينسج ويركب صورة وفق مخيال صانعيها محكومة بعوامل وظروف نفسية، مذهبية، اجتماعية، سياسية في واقع جزائري يشوبه التفاعل و الإنفعال بين أهمّ معطياته وفواعله. أمّا اليوم فمعظم الكتابات التاريخية الجزائرية تصنّف الأمير عبد القادر على أنّه قائد ومحارب، ومجاهد، ومؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وتشيّد بإنسانيته غير المسبوقه تجاه المخالفين له في الدين والعقيدة وتجاه خصومه من القبائل والطرق الصوفية .

3.. الكتابات الفرنسية :

تتموقع صورة الأمير عبد القادر الجزائري في الوعي الفرنسي المشبّع بالإيديولوجية الإستعمارية، الذي رسم لها شكل يناسب أطروحة المدرسة الإستعمارية السّاعية إلى تشويه وتزييف الحقائق التاريخية التي تعتمد معايير تمييزية انتقائية، إقصائية الغاية منها تفكيك الكل وهو: الذات والوطن إلى أجزاء ووحدات مختلفة وإلى واقع إثني و ديني ومذهبي و سوسيولوجي وسياسي في الجزائر، تتقاسمه حسب الذهنية الإستعمارية أطراف متضادة ومتنافرة و متصارعة.

فبين المخيال الفرنسي و الواقع الأميري القائم نجد كتابات فرنسية حول شخصية الأمير لها أبعاد مستقبلية خطيرة تتسرّ وراء شخصيته الإنسانية والمتسامحة تخطط من خلالها على إستعمار الوعي الجزائري و هو أخطر في نظرنا لأن لو سلمنا فرضا بمفهوم استعمار الأرض، فإنّ الأرض تدمّر وتعمّر أو اذا ماتت ستحي، أما الشخصية الجزائرية أو مسألة الهوية فإن تمّ إفراغها من محتواها العربي الإسلامي فإن ذلك أخطر من حدّ السيف نفسه وتحتاج وقتا أطول لترميم وإصلاح ماخرّبته الافكار الإستعمارية .

يرى أبو القاسم سعد الله أنّ ما كتبه الفرنسيون بعد 1847م يهدف في الحقيقة إلى إثبات تفوقهم من جهة وتضخيم أمر الصداقة لفرنسا من جهة ثانية هذا لتخدير عقول الجزائريين (شارل، 1974 ، صفحة 7) ، هكذا حسب ما يفهم منها أنّ فرنسا ناورت بحدّ سيوفها و بحبر أقلامها لنسج مفاهيم وصناعة صور لشخصيته كإطلاق مصطلح سلطان العرب وهذا ما تعجّ به الكتب الفرنسية منذ بداية مقاومته 1832م، سواء عند بيجو Bugeaud أو سانت آرنو Saint-Arnaud أو لاموريسي La Moricière أو ديمشال Desmichels أو غيرهم، وكأنّ عبد القادر سلطان أو ملك حكم العرب فقط ولم يكن تحت إمارته الأمازيغ.

ترى تلك الكتابات أنّ دافعية حرب الأمير عبد القادر كانت تعصّبية، ولطالما وصفه جنرالات فرنسا بالمتعصّب و من طرف بعض المؤرخين الذين لم يفهموا قضية الرجل المحارب لإظهار الأعمال اللإنسانية في نظرهم .

وفي ذلك كتب بوجولا M,Poujaula في سنة 1844م يصف مقاومة الأمير في الجزائر ضدّ فرنسا بالتعصّب (Dahmane, 2007, p. 105) و يرى الدوق أوروليان Orléan "أنّ الأمير أثار الحماس الديني بين المسلمين في عموم إفريقيا" (Dahmane, 2007, p. 106).

من خلال التدقيق في هذه الخطابات التي تحمل أوصافا مغرضة و دفيئة تتهم الإسلام بالتعصّب وأنّ فكرة المقاومة ليست إلّا وليدة تعصّب ديني، وبالتالي فكل من يقاوم فرنسا هو متعصب و متمرد و مادام الأمير حمل لواء الجهاد فهو تحرّك بدافع هذه الفكرة. و نجد بعض من كتبوا عن الأمير يصفون حركته عرّضا بالجهاد حتى برينو إتيان Bruno Étienne كان يتحاشى في كتاباته إستخدام كلمة الجهاد ، واستخدمها عنده كان على لسان قائلها ليس إلّا. و في الحقيقة لا يتورّع الفرنسيون عن وصف حربهم بالجزائر بالحرب الصليبية ذات المهمة الحضارية في الوقت الذي يرون فيه الجهاد عبارة عن تمرد عن فرنسا و تعصّب ديني ، ويذهب برينو إتيان أبعد من ذلك فيصف الواقع و السلطة و المجتمع في عهد الأمير

عبد القادر وصفا لا ينفصم عن المدرسة الإستعمارية لما يحصر الصّراع بين المدينة و البداوة، وبين الحضارة والتوحش، وبين المرابطين والقبائل (إتيان، 1997، صفحة 158).

بعد أن أطلق الأمير سراح بعض الأسرى الفرنسيين بدون شروط اعتبر لاموريسيار ذلك بلفتة جميلة من متوحّش و يصفه الشاعر فيكتور هيغو Fictor Mari Hugو بالرجل العنيف والخشن والمجرّد من الرّحمة والإنسانية، وكان له ميل ونزوع واضح نحو تمديد وتوسيع الإحتلال الفرنسي في الجزائر ويعتبره مهمة ورسالة حضارية (Besnac, s.d, p. 19).

و هكذا فإنّ الفرنسيين اعتبروا الأمير عدو و جاهل ومتوحش يجب القضاء عليه و من خلال تفسير مواقف وقناعات هذه الكتابات لدى هؤلاء نجدها امتداد لنظرة التعالي والفوقية للرجل الأبيض المصدر للحضارة و التمدن لبلاد الهمج والبربرية و صرّح فيرو قائلا: "يجب أن نكون أقلّ بربرية من هؤلاء المتوحشين لا يجب تعليمهم بل يجب تدميرهم" (Dahmane, 2007, p. 106).

يتبيّن من كل ما سبق أنّ الآخر الفرنسي نسخة من الآخر الأوروبي عبّر عن سلبية النفسية الغربية المحشوة بالحقد والكراهية تجاه كل ما هو عربي، وإسلامي و ما فتأ الموقف الفرنسي مُخْلِصًا لموروثه الديني المتحكم في أيديولوجياته و سلوكياته و مواقفه تجاه المخالفين لهم في الدين و العقيدة .

إلاّ أننا لا ننكر إيجابية الآخر لما راح يظهر الأمير في صورته الإنسانية، و هذا الموقف أحيانا لم يكن بريئا و كان بمثابة غسل في وسطه سم، و كان لابد من هذا الإعتراف الذي فرض نفسه بتلقائية نظرا لإستثنائية الخصم الذي كان محاربا ومسالما في نفس الوقت وهو ما أثار الإعجاب و المدح لدى العدو رغم العلاقات العدائية .

كتب الماريشال سولت Soult سنة 1843 بأن العالم لا يعرف اليوم إلا ثلاث شخصيات وقفت بشكل عادل يستحق وصف العظماء ، و هي: عبد القادر بن مُحي الدين ن ومحمد علي،

والإمام شاميل (Bellemar, 1863, p. 06)، أمّا دوماس فقد عبّر عن إعجابه بشخصية الأمير قائلا: "عبدالقادر رجل الظروف، منتخب من الشعب، أوقف الفوضى بعد أن أثبت في كل مرة بدهائه عن قوته وشجاعته" (Dumas, p. 307).

قد جاء على لسان كلوزال Clauzel حسب ما ذكر يوهانت كارل بيرنت في كتابه السابق الذكر أنّه وصف الأمير بالشجاعة والدراية بفنون الحرب بعد حملته على معسكر (كارل، 2012، صفحة 70).

إنّ المجرم بوجو Bugeaud الذي عُيّن حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1840م الذي كُلف بتحقيق برنامج شديد البساطة يقول: "كن سيدا في كل مكان والافلن تكون في أمان في كل مكان" (فريمو، 1991) عرف بسياسة الارض المحروقة يشبهه في مراسلاته بالمسيح وأنّه من مرتبة الأنبياء وأمل كل المسلمين الأتقياء (Farah, s.d, p. 29). رغم أنه يعترف بصعوبة القضاء عليه وأنه لا بد من عمل سحري للردّ على حركته. فكل هذه الأوصاف كانت تطلق في ظلّ جو يسوده الحرب الشاملة التي كان من دعائها المتطرفين في مواقفه ألكسيس دي توكتفيل Alexis de Tocqueville (RobertsTimothy, s.d, p. 164) وسيكون للأمير موعد مع الشهرة والصيت بعد خطفه وسجنه في فرنسا لتستقطب إهتمام العدو و الصديق و القريب والبعيد و خاصة بعد الدور البطولي الذي أداه في وأد الفتنة بين أهالي الشام سنة 1860م. كما يتناول أوجين دوسيفري في كتابه "نابليون الثالث و عبدالقادر" معتبرا شخصية الأمير ذات هيبة يعجز اللسان عن وصفه.

لم تهمل القواميس الفرنسية ذكر وتخليد الأمير بين طيات صفحاتها مثل : Le petit Dictionnaire des Larousse الذي وصف الأمير بالمحارب الشجاع والمنتصر، و Dictionnaire des Larousse orientaliste de langue française ويظهر فيه الأمير بشكل فريد كقائد مقاومة للإحتلال والمسلم ورجل الحوار، أما قاموس Le grand Larousse encyclopédique فيرى أنّ فرنسا هي من سمحت للأمير ببناء قوته وإبقاء سلطته على القبائل ونفس الرؤية يحملها Dictionnaire

général de biographie et l'histoire وذلك أن الفرنسيين ساعدوا الأمير في تثبيت سلطته على ثلثي الجزائر.

من خلال كل هذه الكتابات الفرنسية طُغت على السطح النزعة الإنسانية على وصف شخصية الأمير عبد القادر بعد 1847م إلا أنّ هناك من حاول ربطها بتأثير التيارات الغربية التي ظهرت في أوروبا جاحدا خصائص أبعاد الإسلام الذي هو دين الأخلاق والرحمة وحتى يحتفظ التاريخ بصورة نمطية ومشوهة عن الشخصية الجزائرية ويفصلها عن منابعها الإسلامية السمحة .

إنّ ربح الأمير العطرة التي هبّت ما بين جبال وهضاب وواديان معسكر والجزائر تخطّت حدودها لتزعزع ضمائر العالم . فكيف إحتفت به شعوب وساسة العالم اليوم نظير أدواره ومساهماته الإيجابية في تاريخ الإنسانية ؟

4. شواهد على إحتفاء العالم بشخصية الأمير عبد القادر اليوم :

حُقّ للعالم اليوم أن يفتخر بهذه الشخصية السمحة التي انفردت بأخلاقها الإسلامية ونوازعها الإنسانية، وروحها الخيرة، طوال حياته التي قارع فيها بسيفه وقلمها الشر أينما كان ومتى ظهر متحررا من كل النوازع اللإنسانية التي سبق وإن خلفت الألام والويلات للبشرية عبر التاريخ.

مازال العالم اليوم يُكَنّ الإحترام لشخصية الأمير عبد القادر ويلقي بالثناء و الإعتراف لها نظير رأفتها و رحمتها على أعدائها خلال مقاومتها لعدوانهم و ظلمهم، حتى بعد غدرهم به وسجنه قسرا في فرنسا و في منفاه في بلاد الشام، حيث انطلق شعاع سماحته وإنسانيته غربا وشرقا وشمالا وجنوبا لينحني له العالم اجلال وتكريما.

مهّدت السمعة التي اكتسبها الأمير خلال جهاده عند إخوانه في الشام طريقا نحو أفاق بعيدة ، قد صدرت عنه عدة دراسات ومقالات صحفية خاصة بعد إخماد نار الفتنة بين أهالي الشام 1860م (شارل، 1974 ، صفحة 26) و تلقّى على إثرها الأوسمة و النياشين و الهدايا الثمينة و رسائل الشكر و الثناء من قادة و دول العالم ، مسلمين وغير مسلمين.

طارت شهرة الأمير في العالم الجديد على درجة إطلاق الأمريكيين اسم الكادير Elkader على منطقة تقع في شمال إيووا Iowa، سنة 1846 في الولايات المتحدة مازالت إلى اليوم تخلّد إسمه تعظيما له (مخبر البحوث الإجتماعية والإنسانية، 2014، صفحة 26)، و قد ربطت مع مدينة معسكر اليوم توأمة في إطار تبادل العلاقات بينهما وإحياء أفكار الأمير التي تدعو للتسامح والتعايش بين الشعوب والأديان .

هناك عدّة مؤسسات وأطراف في الولايات المتحدة الأمريكية تشجع على إحياء فكر الأمير عبدالقادر كرمز للسلام والتسامح في العالم و لمحاربة التطرّف و التشدد تحمل الأمير عبدالقادر. حيث اختارت مؤسسة الأمير عبدالقادر للتربية في مدينة ألكادير معالجة مسائل التشدد مخصصة عدة جوائز للفائزين فيها سنويا من الطلاب وقد قالت رئيسة المؤسسة كاثير غارمز حول التشدد اليوم ومحاربته ما يلي: "لو كان الأمير بيننا لما سمح بذلك " وهدفها من مبادرتها هو إعداد الطلاب الأمريكيين للمستقبل لنقاشات أعمق حول كيفية الفهم الصحيح للإسلام الذي كان يتبناه الأمير .

في إطار تشجيع ثقافة التعايش و السّلم خصصت عدة جوائز بإسم الأمير عبدالقادر قامت الجمعية الصوفية العلوية و المنظمة الدولية غير الحكومية والمؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة وبرنامج ميد Med21 بإنشاء جائزة الأمير عبدالقادر للتنمية (www.djanatualarifi.net، 2016) تمنح هذه الجائزة لأشخاص عاديين أو معنويين من صفتي المتوسط ومن باقي دول العالم من الذين ساهموا بطريقة فعالة في الدفاع عن التعايش السلمي بين الشعوب والأديان و الافراد.

إضافة إلى ذلك تدشين منبر اليونسكو للأمير عبد القادر من أجل حقوق الإنسان وثقافة السلام والذي أنشأ بموجب الاتفاقية المبرمة بتاريخ 15 جوان 2016م بين رئيس جامعة الجزائر و المديرية العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (السلام، 2016) تكريما للأمير عبد القادر لمساهمته في ترقية حقوق الإنسان .

هذا إضافة للملتقيات والمؤتمرات التي تنعقد في أوروبا و أمريكا للإشادة بمدى مساهمة الأمير في إثراء و تفعيل القانون الدولي الإنساني (Delal, sd, p. 164) و اعتباره قنطرة و جسرا للتواصل بين الغرب والشرق باعتباره معلما قدم دروسا في الحوار (Bouyrdèn) .

وجد الأمير محلّه اليوم في المجلات والجرائد العالمية التي مازالت تخلّد اسمه في عناوينها العريضة في زمن تعصّبت فيه النفس البشرية، وامتألت بكل ألوان الضغينة والكراهية، مما أصبح ينذر بتهديد أمن وسلام العالم في ظل غياب ضمائر تستطيع إرساء قواعد متينة ومحكمة على أرضية خصبة بالتعايش و التعاطف و التعاون و التضامن ومن بين هذه الجرائد العالمية التي نوهت بشخصية وفكر الامير عبد القادر، جريدة الأندبندنت البريطانية Independent حيث عنونت قائلة: «يجب أن ننظر إلى الماضي لنكتشف الإسلام الحقيقي» وحسب تعبيرها أن الأمير يمثل هذا الدين الصافي وذكرته بالرجل الصوفي والإنساني حامي المسيحية والمسيحيين و رجل النهضة الإسلامية الذي يجب أن نعتبر منه (http://www.independent.com، 2018) وهذا دليل على بعدها العالمي والاقليمي و الوطني ولا يفوتنا أن نستشهد بالأسماء التي أطلقت على الأحياء والمؤسسات داخل الوطن وخارجه على الأمير عبد القادر عرفنا لخدماته للإنسانية التي مازالت تحيي ذكراه من حين لآخر.

5.الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التاريخية للأمير عبد القادر التي ركّزت على البعد الإنساني لشخصيته من خلال مجموعة مصادر و مراجع بهدف وضعها في إطار المناسب في عالم

يشهد اليوم مزيدا من نزوع النفس البشرية للحرب والإعتداء، في وقت توحشت فيه المادة والعلم وغابت فيه الروح مما يستدعي ذلك إلى إبراز الدور الجزائري عبر التاريخ في صناعة السلم والصالح ونبذ الحرب والعنف في العلاقات بين افراد الأمة أو بين الأمم والشعوب .

جسد ظهور هذه الشخصية الوطنية العبقريّة الجزائرية في ثلاثينات القرن التاسع عشر أمام أمبراطورية عسكرية مترامية الأطراف مدفوعة بشهوة السيطرة و تلبية الطمع الإمبريالي على حساب مقدرات وحقوق الشعوب الضعيفة هذه العبقريّة الشابة والطموحة التي تفتقت فجأة في وجه خدام الكنيسة والإمبريالية أعطت دروسا في كيفية الحفاظ على النفس في وقت الحرب والمقدرة على صياغة السلام والأمن بعيدا عن قرع السيوف وسفك الدماء.

. يصلح النموذج الأميري لكل زمان و مكان و التأكيد على حتمية وخيار تفضيل المصالح العامة على المصالح الضيقة ،أي أن رسائل الأمير في الحرب والسلم لم تكن محلية بل صيغت بطريقة بإمكان كل الشعوب والامم تلقفها وتوظيفها في الحياة خاصة مع تصاعد موجات العنف والكرهية ضد الإسلام وهذا بسبب المغالطات والأكاذيب التي نسجت حول الإنسان المسلم مما ركب صورة سوداوية في ذهن الآخر .

إنّ دراسة تاريخ هذه الشخصية بحاجة ماسة إلى أقلام نزيهة وموضوعية تنصفها بعد سلسلة من الإتهامات التي حفلت بها بطون الكتب بعد وفاتها 1883م وهذه مسؤولية المؤرخين الجزائريين الذين يجب عليهم حمل لواء الكتابة التاريخية عن الامير عبدالقادر من خلال الإعتماد على المصادر والوثائق التاريخية .

. للرد على بعض الإتهامات ضد من يُسوّدون صورة الأمير على صفحات الكتب وفي المنتديات الإلكترونية نؤكد على مايلي:

إن لجوء الأمير عبدالقادر للعنف في أحيان كثيرة في معاملاته ضد القوى السياسية والدينية المحلية كانت تقتضيه الظروف والعوامل لتوحيد كلمة الأمة على الجهاد والقضاء

على أي تعاون مع العدو الفرنسي وخاصة أنّ الأمير على اطلاع ودراية بطبائع القبائل المحلية والتي منها التمرد والخذلان و مناصرة العدو أحيانا للحفاظ فقط على امتيازاته ومصالحها الخاصة مما فرض على قائد الدولة الفتية تأديبها بالقوة.

للتذكير من يتناولون باللسان والقلم على شخصية الأمير أن أمر جهاده كان قائما ومرتكزا على قاعدة المبايعة وهذا يعني أن الأمة خولته أمرها على الطاعة والنصرة وعدم الخضوع والإستكانة للفرنسيين تحت أيّ ظرف كان، مما خول الامير استخدام سلطته بصفته أميرا على الأمة والجهاد .

مما يبرز الشخصية الإسلامية في الأمير ومدى تدينها هو إلحاحه في عدة مرات عن التنازل للإمارة لسلطان المغرب ومبايعته وهذا دليل كاف على عدم تلهف الأمير وراء القاب السلطنة والملك .

.رد الأباطيل في حق الامير التي انتقدته بدافع ضعف شخصيته وهذا لكونه كان متساهلا مع العدو لأقصى حدود، ولا ننسى أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو خير ما أنجبت الأمة الاسلامة كان يدعو الى خلق السلام وتجنب سفك الدماء ومراعاة حدود الله وعدم التشدد والتهور وقت الحرب، ولنا في سيرته خير زاد، للإعتبارمنها ،لذلك كان الأمير يستلهم من سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد يكون استعانتة بالأوروبيين في بناء دولته وجيشه نقطة ضعف حسب هؤلاء إلا أنّ الأمير حاول الإستفادة منهم في مجالات كثيرة و لكن الغدر والخيانة طبيعة الفرنسيين والأوروبيين.

. عدم انخراط الأمير في أي تيار فكري أو فلسفي أو سياسي فرنسي أو أوروبي أو غربي،ومهما كانت شعارات هذا التيار أو ذلك،و لم يتأثر بها ولم تكن له من قريب أو بعيد أي علاقة ولا بطاقة إنخراط ،وكل ما قيل عنه إفتراء وكذب وبهتان جمع من قصاصات ورق وجرائد ولفق

للأمير عبدالقادر والأغرب هو إتهامه بعد وفاته وليس قبلها مما يطرح أكثر من علامة إستفهام حول الغاية من طرح مسائل مشبوهة حول هذه الشخصية .

لم يصنع إنسانية الأمير عبدالقادر أي مذهب ديني أو فكري أجنبي حسب ما يروج له البعض خاصة الفرنسيين وإنما كانت حصيلة تربية ونشأة وتكوين الأمير على مبادئ وقيم وأخلاق الإسلام.

إنّ الذين يثبتون صداقة الأمير عبدالقادر لفرنسا مستغلين طيبته وشهامته وعطفه وكرمه ينطلقون من خلفيات غير بريئة على أساس أنه بطريقة أخرى تخلى عن الجهاد وأصبح من زمرة فرنسا يتقاضى أجرا وعاهدها على توقيف الحرب ضدها، مما يدعونا لتنبيه كل من يقرئ عن تاريخ الأمير توخي الحذر في مثل هذه الأطروحات المغرضة الساعية إلى تشويه تاريخ وسمعة الأمير عبدالقادر .

. ما يتعرض له الأمير عبدالقادر ليس إلّا من قبيل كما قال أبو القاسم سعدالله أن الجزائريين مجبولين على طبيعة تقزيم أبطالهم لا تعظيمهم عكس الآخرين الذين يسعون إلى تمجيد وتعظيم شخصياتهم التاريخية ، لذلك على الأجيال الحالية والصاعدة الكف عن ظاهرة التخوين والتحقير والتقزيم لأبطالها الذي صنعوا التاريخ وبنوا الأمة الجزائرية على مر عصورها.

. من البديهي والطبيعي إعتبار الأمير عبدالقادر رائد من رواد الإنسانية على مستوى الجزائر والمغرب العربي والعالم ، وهو جدير بأن يحفر إسمه ضمن أولئك الرواد الذي كرموا الإنسان ورفعوا منزلته في الكتابات ودعوا إلى تحريره من الجهل.

. ظهور الأمير كأحد تجليات الإعتدال الديني والفكري الجزائري وطنيا وعالميا ونموذج لتحقيق الاحتراف به سواء من طرف العالم الإسلامي او العالم المسيحي.

. كان الأمير عقلانيا في افكاره وكتاباتهِ ويتجلى في مجموع ما كتب من مؤلفات الشاهدة رغم كونه من اتباع طريقة صوفية مشهورة ذائعة الصيت وهي الطريقة القادرية ،تمكن من التوفيق بين روحانية الطريقة وعقلانية التفكير والسلوك.

- الرؤية الإستشرافية للأمير عبد القادر في مقارنته للعدو الفرنسي أو في محاربته للفتنة و العنف الممارس باسم الاسلام جَنب العالمين الاسلامي والمسيحي تراكمات خطيرة كانت ستشجن عواطف الطرفين بالأحقاد والضغائن في بلاد الشام اليوم.

بتميزه الفكري وعبقريته العسكرية ودهائه السياسي والدبلوماسي غير حركة ووجهة التاريخ بواقعيته وعقلانيته وموضوعيته.

Sources and reference:

- Bouyrdèn, , A. (1999). Amir Abdelkader and the West, Lesson of a Dialogue of the Civilizations of Yesterday Today .academic colloquium, archive center. Montréal.
- Dahmane, Karma. A. (2007) .The conquest of Algeria in military writings (1830-1847): designations and representations of otherness . (n37), p105 . Insanyat, 11(37), 103-116.
- Daumas, Eugene (1853). Customs and customs of Algeria; Tell — Kabylie — Sahara. Paris: , Librairie de L. Hachette et Cie.
- Dalal, A.Y.K. (2014). Comparative study of Amir Abdul Qader and Nissan in International Journal of Hygiene and Tropical Medicine. Algerian Journal of Political Studies, 1(2),
- Alex, Bellmere. (1863). abdelkader, his political and military life. paris: : librariede L.hachetteet cie. 3-32. , Al Khettab.
- Farah, Abdelaziz. (2024, issue 6). the time of a stop, meeting with the Emir Abdelkader

- RobertsTimothy, (2015). The Role of French Algeria in American Expansion during the Early Republic. ALGERIA: The journal of the western society .

-(2024, March 6). Press Release www.djanatualarifi.net

-A, -Tamini Abdjlil. (1978). . Baylik Constantine and Hadj Ahmed 1831_1837 (s.éd). Tunes: Publications de la Revue d'histoire.

- Ahmed Abed Al-Jabri (2017, March 9). The Concept of "Otherness" between the West and Islam. Retrieved March 6, 2024,

-https://www.aljabriabed.net/alterite_islamoccident.htm

_ Ahmed Khaled Al-Nasiri (1997)**Kitāb** al-istiḳṣā li-aḥbār duwal al-Maḡrib al-aqṣá (D,T,M 9)Dar El Beïda, dar elkitab

_ Agha ibn Awda Al Mazari (1990). Toulou3 Saad As "So'oudin the News of Oran, Algeria, Spain, and France until the End of the Nineteenth Century (1st ed.). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

_Ahmed bin Abdulrahman Al-Shaqrani. (2013). The Middle Statement on the News of Those Who Settled in the Central Maghreb, (2nd ed.). Algeria: Al-Basaer for Publishing and Distribution.

_ Khalil Awda. (2018, March 6). The dialectic of the relationship between the self and the other in a ready-made scenario by Mahmoud Darwish. Retrieved on March 6, 2024. <https://fr.scribd.com/document/467040726/%D8%AC>

_Abdul Karim Shabab (2018). The resistance of Emir Abdelkader in Saida: the region, the men and their role in supporting the resistance. elhiwar *el moutawassit*, 9(1), 30-39.

_ **Etienne BRUNO** . (2012). Emir Abdelkader (n.d.). Algeria: Dar Houma.

_ Abdulhaq Sharaf . (2018). The writings of Al-Arabi Al-Mashrafi Al-Jaza'iri, who died in 1895, are a source of the history of Algeria during the 19th century.

Afak For Sciences Journal, 3(1) .

_ Jack Fremau (1991). France and Islam from Napoleon to Mitterrand (1st ed.). Cyprus: Earth Publishing Company.

_ Bougafala, Weddène. (2014). Emir Abdelkader Al-Jazaery, Genius in Time and Place. Sidi Bel Abbès: Al-Rashad Library for Printing and Publishing.

_ Alawi, Abdelkader. (2019, May 1). Some positions of Algerian scholars on the conditions of Morocco in the 19th century "Abu Hamid Al-Arabi Al-Mashrafi as a model", New Ages Magazine (Issue 1), p. 39.

_ Amirawi Hmida. (1973). Memoirs (n.d.). Algeria: National Publishing and Distribution Company.

_ **Johann Karl Berno** . (1999). Emir Abdelkader Al-Jazaery (1st ed.). Algeria: Dar Attia.

_ Charles Henry Churchill (1974). The Life of Emir Abdelkader (&). Tunis: Dar Al-Tunisiya Printing House.

_ Sa'iduni Nacer eddine (2000). Algeria: Starting Points and Horizons, Approaches to Algerian Reality through Historical Issues and Concepts (Ph.D). Algeria: Dar Al-Gharb Al-Islami.

- Ministry of Elmojahiddine . (2007). Colonialism and the Age of Truth, Values of Recognition and _ Communication with the Other (Ph.D). Algeria: National Center for

Studies and Research on the National Movement and the Revolution of November, 1954.

.d.t., 125. Algeria